14 منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس

محمد عثمان نجاتي

- ندوة علم النفس، القاهرة، 1989م.
- أبحاث ندوة علم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ/1993م، ص 318–347 [39 صفحة من القطع المتوسط].
- لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.
- مجال البحث (الكتاب): أسلمة علم النفس (منهجية التأصيل).

❑ ❑ ❑

يستعرض الباحث في أول ورقته الوضع الحالي أو القائم لعلم النفس في البلاد الإسلامية حيث يجدها علوماً غربية في فلسفتها ووجهتها، لها أساليبها الخاصة في الحياة والتفكير وطبيعة الحياة والإنسان ورسالته – أي الإنسان – فيها، حيث يضرب الباحث أمثلة كثيرة ومفصَّلة عن هذا الباب. ثم يذكر الباحث أن هذا الاتجاه في تدريس علم النفس هو الذي دفع بعض علماء النفس المسلمين للتفكير في حل هذه المشكلة وعقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة للتعرف على أسباب هذه المشكلة أولاً، وتقديم الحلول المقترحة لها ثانياً.

ثم يبدأ الباحث بعرض بعض الجهود الخيّرة في هذا المجال بأسماء جامعات وهيئات معينة ساهمت ولا تزال تساهم لحل هذه المشكلة إضافة لجهود فردية كثيرة مؤازرة في ذات الاتجاه.

* ثم ينتقل الباحث بعد ذلك إلى «التأصيل الإسلامي لعلم النفس» حيث يجد ضرورة ماسة تستدعي إعادة النظر في مقررات علم النفس التي نقوم بتدريسها في الجامعات الإسلامية وإخضاعها: للتحليل النقدي الدقيق وفرز الصالح من غير الصالح منها وإبقاء ما يوافق مبادئ الإسلام أو غير متعارض معها في أقل تقدير.

كذلك يطالب الباحث بتوجيه البحوث النفسية في مجتمعاتنا وجهة إسلامية داخل إطار التصور الإسلامي للإنسان وللدور الوظيفي للعلم في حياة الفرد والمجتمع.

* ويضع الباحث أهدافاً محددة لعلم النفس من وجهة نظر إسلامية:

- الكشف عن آيات الله وسننه سبحانه وتعالى في الإنسان
- الكشف عن المبادئ والقوانين التي تنظم سلوك الإنسان في الحياة
- معرفة النهج الأمثل للحياة والإنسان وأسباب انحرافه عنه

* وبعد الأهداف يضع الباحث خطوات منهجية (لمنهج التأصيل الإسلامي) لعلم النفس داعياً علماء النفس والشريعة وأصول الفقه لعمل خطة معينة بدقة لتؤدي في النهاية إلى الغاية المرجوة.

ويضع الباحث تصوره لخطة التأصيل الإسلامي لعلم النفس على الشكل الآتي:

أولاً: المسلمات، إذ لابد من الإتفاق عليها كأصول نهتدي بها في تحليلنا النقدي لموضوعات علم النفس الحديث، وأهم هذه المسلمات برأي الباحث:

- الإيمان بالله تعالى (ويفصَّل كثيراً ويستهدي بالقرآن والسنة كثيراً في شرحه لهذه المسلمة ولكل المسلمات السبع الأخرى كذلك)
- الإيمان بالملائكة وبكتب الله تعالى ورسله واليوم الآخر
- وحدة الحقيقة من خلال مصدريها معاً: العقل والوحي
- خلق الإنسان من قبل الله سبحانه وتعالى من مادة وروح
- الإنسان خير بطبيعته واستعداداته النظرية لتمييز الخير عن الشر
- الإنسان حر الإختيار والإرادة
- القرآن والحديث مصدران أساسان لمعلوماتنا اليقينية عن الإنسان

ثانياً: التمكن من علم النفس الحديث

وهي الخطوة الثانية لتأصيله إسلامياً، فالمتصدي لهذه المهمة يجب أن يكون متمكناً من هذا العلم وعلى معرفة شاملة ودقيقة بموضوعاته وتطوره التاريخي ومناهجه في البحث وإسهاماته ونتائجه ونظرياته ومشاكله. وبسبب تشعب علم النفس المعاصر إلى تخصصات كثيرة، فإن الباحث يطالب بجهد مشترك لفريق من علماء النفس المتخصصين في المجالات والشعب النفسية المتخصصة من مختلف الجامعات الإسلامية - من خلال هيئة علمية معينة (في

إحدى الجامعات أو مراكز البحوث) - لتتولى تنظيم عمل هذه الهيئة ومتابعة أعمالها.

ثالثاً: التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية

إذ من الضروري - برأي الباحث - أن يكون المتصدي للتأصيل الإسلامي لعلم النفس على معرفة دقيقة بالأصول والمبادئ الإسلامية، حتى يستطيع أن يبحث عما يوجد في الأصول الإسلامية من موضوعات تتعلق بموضوعات علم النفس.

رابعاً: معرفة الدراسات النفسية للعلماء المسلمين، ويركز الباحث في هذه الخطوة بالنظر إلى التراث الإسلامي النفسي وكيف استطاع التوفيق بين موضوعات علم النفس اليوناني مع التصور الإنساني للإسلام (لم يفصَّل الباحث في هذه الخطوة).

خامساً: نقد علم النفس

وبعد إتمام الخطوات الأربع السابقة يرى الباحث أن الطريق سيكون ممهداً لقيام علماء النفس المسلمين بالتحليل النقدي لموضوعات علم النفس في ضوء مبادئ الإسلام، وعلى أساس المسلمات السبع الذي ذكرها الباحث في خطواته الأولى من هذه المنهجية. كل ذلك:

- لنبقي ما يتفق مع مبادئ الإسلام
- وإخضاع المتبقي منه للدراسة بهدف حذفه أو تعديله

سادساً: إجراء البحوث في علم النفس من وجهة نظر إسلامية

فلابد للبحوث الإسلامية في علم النفس أن تهدف لحل مشكلات الناس الهامة من أجل تحقيق حياة أفضل لهم، مع ضرورة التنسيق بين الباحثين في الجامعات الإسلامية المختلفة لتبادل المعلومات وتفادي التكرار والتعاون البحثي المشترك.

ويقترح الباحث لهذه البحوث مسارين:

1. دراسات نظرية لبعض المفاهيم والموضوعات من وجهة نظر إسلامية

(ويعطي الباحث أمثلة على ذلك: الشخصية الإنسانية السوية، الصحة النفسية، الأحلام... إلخ)، ثم وضع نموذج إسلامي للإرشاد والعلاج النفسي مستعيناً بالتوجيه الديني وأساليب علم النفس المعاصرة: القيم الإسلامية، تربية الأولاد في الإسلام... إلخ. ثم رصد الدراسات النفسية للعلماء المسلمين في التراث الإسلامي (و يضرب أمثلة تراثية على ذلك).

2. دراسات ميدانية وتجريبية:

إذ من الضرورة بمكان أن يعنى علماء النفس المسلمين بإجراء بحوث ودراسات ميدانية وتجريبية في مجتمعاتهم لحل مشكلات الإنسان المسلم المعاصر من وجهة نظر إسلامية.

ثم يقدم الباحث ثمانية مقترحات لبعض الموضوعات التي يمكن دراستها ميدانياً وتجريبياً من وجهة نظر إسلامية:

العلاقات بين: التدين والصحة النفسية، التدين والجريمة، التربية الدينية وسمات شخصيات الأبناء ثم مع صحة الأبناء النفسية، مستوى التدين والمشكلات النفسية لدى الشباب المسلم ثم مع الكفاءة المهنية لهم ثم مع مستوى التوافق في الحياة الزوجية للأسرة المسلمة، وأخيراً الفرق في أسلوبي العلاج النفسي (النموذج النفسي الغربي، النموذج النفسي الإسلامي) ومدى تحسين الصحة النفسية للأفراد في كل منهما.

سابعاً: عقد الندوات والمؤتمرات العلمية المتخصصة في هذا المجال يدعى لها ليس علماء النفس المسلمين حسب بل علماء الشريعة وأصول الفقه كذلك.

ثامناً: وأخيراً، يطالب الباحث في آخر خطوة له بإعادة كتابة علم النفس في إطار إسلامي من خلال نتائج البحوث النفسية وبتراكم المعلومات الجديدة في هذا المجال بغية تأليف كتب دراسية جديدة في علم النفس تتفق مع المبادئ الإسلامية.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

أسلمة علم النفس، منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- جاءت المنهجية المقترحة من قبل الباحث من خلال الخبرة التراكمية والعلمية للباحث، حيث تميزت بجانب عملي تطبيقي.
- ما غاب عن المنهجية أو خطوات المنهجية هو بناء أو اشتقاق المعايير الإسلامية لسواء الشخصية أو للصحة النفسية، فهي خطوة أساس وضرورة لا تكتمل المنهجية من غيرها.
- فبدون المعايير تبقى المنهجية عائمة بين الإطار النظري ابتداءً بمسلماته وانتهاءً بتطبيقاته الميدانية. إلا أن الحكم على النتائج أو مرجعية تفسير النتائج إنما ستكون على أساس معايير محدودة متفق عليها ليس نظرياً حسب وإنما عمليا وتطبيقياً كذلك.
- ولا شك فإن التصور النفسي الإسلامي للإنسان ووضع وتوصيف محدداته ستمهد لاحقاً لاشتقاق المعايير الحكمية في ضوء المواصفات السلوكية للإنسان المسلم السوي.

❑ ❑ ❑